

المحاضرة رقم 05

عنوان المحاضرة: النقد والنظرية.

تعد العلاقة بين النقد والنظرية علاقة متلازمة، حيث أن النقد الأدبي يعتمد على عناصر تحليلية تستند إلى أسس نظرية، فالنقد ليس مجرد استعراض للأعمال الأدبية، بل هو ممارسة تعتمد على منهجيات محددة، لذا يصبح من الضروري التمييز بين النظرية الأدبية والنقد، ولقد وضح النقاد الفرق بين المصطلحات - النظرية الأدبية، النقد الأدبي - كما يلي:

***النظرية:** يعتبر مصطلح النظرية من المصطلحات الحديثة المشتركة بين العلوم المختلفة، وهي من المصطلحات التي زاحمت المنهج في العصر الحديث، وقبل أن نذهب إلى تحديد مفاهيمها الحديثة، نجد أننا نعود إلى الوراء قليلاً وبالتحديد عند العرب نجد أن مصطلح النظرية حديث ارتبط بالعلوم المختلفة، يعني خلو معاجمنا العربية القديمة منه وما تم العثور عليه هو مصطلح النظر بمعنى " تأمل الشيء أو معاينته" أو نظرت " إذا رأيته وتدبرته، ونظرت في كذا تأملته، والنظر محرك: الفكر في الشيء تقدره وتقيسه، ونظرت في الأمر، احتمل أن يكون تفكراً وتدبراً، النظر: البحث وهو أعم من القياس، لأن كل قياس نظر وليس كل نظر قياس"

إن كلا المفهومين اللغويين لمصطلح النظر لم يخرجاً عن إطار التأمل والتدبر والتفكير والتبصر في الشيء، إضافة إلى تقدير الشيء وقياسه، وذلك طلباً لفهمه وإبعاد الغموض عنه، وتوضيحه وهذه الدلالة التي تم استخلاصها من المعجمين ليس كافية لإعطائنا المفهوم الحقيقي للنظرية المرتبطة بالعلوم الطبيعية والإنسانية، ولكن ما يمكننا الإشارة إليه هو ورود مصطلح النظر والنظري في كتابات النقاد العرب القدامى مثل الجاحظ لقد استعمل مصطلح - النظر - في نصوص كثيرة من بينها رسالة - المسائل والجوابات في المعرفة - التي كان يبحث فيها عن أجناس العلم حيث ذهب البعض إلى القول بأنها ثمانية والبعض الآخر رأى أنها عشرة ولكن ما يهمنا من هذا كله هو الذين قالوا بثمانية حيث العلم بالله ورسوله والمستنبط من علم الفتيا وأحكامه، وكل ما كان فيه الاختلاف والمنازعة، وكان سبيل علمه النظر والد

فكرة" أي أن هذا النوع من العلم لا يأتي ببساطة لأن علم الإفتاء مثلاً يحتاج إلى تدبر وتفكر وتأمل حتى تكون صحيحة لا تنافي ما جاء في الكتاب والسنة، ويقول أيضاً في موضع آخر " وهل رأيتم أحداً اكتسب علماً قط أو نظر في شيء إلا و أول نظره إنما هو أصل الاضطراب لأن المفكر لا يبلغ من جهله أن يستشهد الخفي، بل من شأن الناس أن يستدلوا بالظاهر على الباطن إذا أرادوا النظر والقياس، ثم هم بعد ذلك يخطئون ويصيبون"

لم يخرج مصطلح النظر عند الجاحظ عن المدلول اللغوي الذي أشرنا إليه في السابق، فالمعنى واحد هو التدبر والتأمل والتفكير ومعاينة الشيء أن تكرير الجاحظ لهذا المصطلح في العديد من المواضع مرده -الجاحظ كان يعرض تقرير أصول -نظرية المعرفة- فاضطر إلى تكرار هذا المصطلح في عدة استعمالات مشابهة وعبارات متقاربة وهي في معظمها دالة على التفكير"

نظرية الأدب تسعى لفهم طبيعة الأدب ذاته، بينما النظرية النقدية تهتم بتحديد أساليب التأويل وتحليل النصوص فهي " دراسة تجريدية ترمي إلى استخلاص القواعد العامة وفلسفة المفاهيم والأصول الجمالية التي ينبني عليها النقد من ناحية وتكون الأساس النظري لدراسة الأدب عامة من ناحية أخرى، ولعل أول مؤلف في هذا النوع هو فن الشعر لأرسطو" بمعنى أن نظرية الأدب تعمل على إيجاد القواعد التي يقوم عليها النقد من جهة وهذه القواعد ليست مجرد قوانين يمكن تطبيقها، وإنما هي قوانين لها خلفية معرفية تم تحديدها من طرف النظرية والتي لا يمكن التغافل عنها، ومن جهة ثانية تجعل هذه القوانين أو القواعد مجالاً ندرس من خلاله النصوص الأدبية -شعراً كانت أو نثراً- فهي تدرس جميع القضايا المتعلقة بالنص الأدبي - المؤلف، النص، القارئ، المجتمع- والعلاقة بينهم من خلال القواعد والأصول والأدوات الإجرائية.

ومن خلال ما سبق فإن الاختلاف واضح بين المنهج والنظرية حيث أن النظرية تشمل المنهج بمعنى أن المنهج لا يتحرك إلا في إطار نظرية أو يمكن القول أن كل منهج لا بد له من نظرية.

*** النقد الأدبي:** يستند إلى المعرفة الطبيعية بالنصوص ويمكن فصله عن النظرية الأدبية، ويركز النقد الأدبي على تحليل الأعمال الأدبية وفقاً لطبيعتها، وليس فقط من منظور نظري، ويعتمد دور الناقد على

مدى تعامله مع النصوص، وليس فرض آراء مسبقة عليها، فالنقد هو البحث عن حقيقة النص، والبحث عن الحقيقة لا يصح أن يكون بلا منهج، وأسس نظرية يقوم عليها هذا المنهج، مضافا إلى ذلك موقف الناقد الإنساني ورغبته الجادة في البحث بصدق وموضوعية للبحث عن الحقيقة ولا شيء غيرها.

ومن ذلك فإن المنهج النقدي هو عبارة عن مجموعة من الأدوات والإجراءات التي يتبعها الناقد الأدبي أثناء قراءة النص الأدبي وتحليله وتفسيره فتتباين القراءات النقدية لنص أدبي واحد وتتنوع بتنوع القراء ومناهجهم النقدية، فلكل قارئ منهجه وطريقه الذي يسلكه أثناء دراسته للنص الأدبي.

والمناهج النقدية تنضوي في ضوء اتجاهين هامين: اتجاه يتعامل مع النص الأدبي من داخله، وذلك من خلال الاستعانة باللغة كونها الركيزة الأساسية التي ينبني عليها النص الأدبي، واتجاه يتعامل مع النص الأدبي من الخارج، فيستعين بالعلوم الإنسانية المتنوعة من بلاغة ونحو وعلم النفس... لقراءة النص الأدبي وتحليله ثم للانتهاء للحكم عليه حكما يليق به.

العلاقة بين النقد والدراسات الأدبية: أما فيما يتعلق بدراسة النقد وعلاقته بالدراسات الأدبية فإن النقد الأدبي يهتم بفهم الأعمال الأدبية وتحليلها ومقارنتها، مع تحديد قيمتها الفنية وعلاقتها بالأعمال الأخرى، وقد ساهم هذا المفهوم في تطور الدراسات النقدية التي أصبحت تشمل مجالات متعددة.

ويؤكد بعض النقاد مثل عبد العزيز عتيق أن النقد يرتبط بالأدب بشكل وثيق، لكنه لا يجب أن يفرض عليه قيودا تحد من إبداعه، فالناقد يساعد في تفسير النصوص، لكنه لا ينبغي أن يفرض طريقة وحيدة لفهمها.

كما يشير إحسان عباس إلى أن النقد يجعلنا نرى العمل الأدبي بعمق أكبر لكنه لا يحدد قيمته بشكل نهائي.

وبهذا يبقى النقد الأدبي ممارسة ديناميكية تتطور مع مرور الزمن من خلال النقاشات والتحليلات التي تساهم في إثراء الفهم الأدبي.